إِعْلامُ المُوَحِّدِينَ بِكُفْرِ عاذِرِ المُشْرِكِينَ

الطبعة الثانية

١٦ محرم ١٤٤٤هـ

كتبه أبو عبيد الجزائري عفا الله عنه

إعلام الموحدين

بكفر عاذر المشركين

الطبعة الثانية

كتبه أبو عبيد الجزائري عفا الله عنه

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد :

إن من أصول الإسلام الذي لا يصح إلا به هو إعتقاد كفر المشركين ، فأي توقف أو شك في كفرهم يعني عدم البراءة من الشرك والطاغوت ، وهذا يُعَدُّ كفر مخرج من الملة ، ولا يزال الناس ممن ينتسب للتوحيد يختلفون في حكم العاذر للمشركين ، ويؤلف بعضهم بحوثا وقد اطلعت على بعضها ، وهي وإن أصاب بعضهم في الحكم ـ لكن في رأيي لم تفِ بالغرض في هذا الموضوع المهم من من حيث استيفاء الأدلة والآثار ، وبالأخص أنها لم تحتوي على أجوبة على أهم شبهات المخالفين الكثيرة ، ولهذا كثر السؤال عنها ولم يتوقف أبدا ، ولهذا عزمت بحول الله على الكتابة فيه بعد أن توالت طلبات الإخوان للكتابة في هذا ، فنقول وبالله نستعين .

تحرير محل النزاع:

قبل أن نبدأ لابد من تحرير محل النزاع بيننا وبين المخالف لكي لا نخرج عن الموضوع ولكي لا يخالف البعض في أشياء ربما نحن نتفق عليها .

فالحكم هنا يتناول العاذر في الكفريات الواضحة البينة وهي التي تشمل كل من :

الأمم الخمس الكافرة : اليهود والنصارى والمجوس والصابئة والمشركين الوثنيين باختلاف ألوانهم ونحلهم ، ويدخل ضمن المشركين كل الفرق الضالة الكافرة كالجهمية والروافض ونحوهم ممن كفرهم واضح جلي للناس) .

ولما كان المخالف لا ينازع ربما في كفر عاذر أهل الكتاب والمجوس ونحوها من الأمم فهو غالبا ينازع في كفر أهل الأوثان والشرك الذين ينتسبون ـ زعموا ـ للإسلام !! أو الفرق الضالة الكافرة كالجهمية والروافض ونحوها ، ولهذا سنسلط الضوء على هذا النوع من العاذرين ، ونقيم الأدلة عليه .

فصل : الأدلة من القرآن :

قال تعالى قد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : { قل يا أيها الكافرون } .

هذه الآية وإن كانت عامة في جميع ملل الكفر وأهلها ، فإنها نزلت في المشركين من أهل الأوثان خاصة من مشركي قريش فالسورة مكية ، وهم عباد قبور وأضرحة وأولياء وصالحين ، وهم كما سيأتي ينتسبون لدين إبراهيم وإسماعيل ، ولهذا وجب تكفير جميع المشركين دون توقف سواء كانوا أهل كتاب أو من عباد الأوثان من عباد القبور والأضرحة والجن وغير ذلك ، بل عباد الأوثان أظهر وأغلظ كفرا بنص القرآن ، فلا أدري ما وجه التفريق بين كفر أهل الكتاب وكفر عباد الأوثان من حيث التوقف والشك ؟

وقال تعالى : {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة والوثقى}

فمن لم يكفر المشرك لم يكفر بالطاغوت ولم يستمسك بالعروة الوثقى.

وقال تعالى أيضا :{قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار } .

[قلت] فهذا أمر بوجوب تكفير الكافر وهو يشبه قوله تعالى (قل يا أيها الكافرون) ومثله الشك والتوقف في النصوص هي في الحقيقة تكذيب لله وللرسول ، وقد ذكر الله مسألة الريب والشك أنه مناقض للإيمان من كل وجه في عدة آيات من ذلك :

قوله تعالى{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (الحجرات ١٥)

وقال تعالى عن المنافقين : { وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُور }

عن قتادة { وارتبتم } قال: كانوا في شك من أمر الله ".

[قلت] هذا في مقابل أهل الإيمان في الآية السابقة ، فالشك في أصول التوحيد كفر ونفاق أكبر ، كقوله تعالى: { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا } يعني أيها الكافرون ، وقوله أيضا : {إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ} (التوبة ٤٥)

وقال تعالى { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }

[قلت] ودين النبي صلى الله عليه وسلم تكفير المشركين ، كما أمره الله في سورة الكافرون ، فمن لم يعتقد كفرهم ، فهو لا يعبد الذي تعبده الرسل.

والله قد دعى الناس للكفر بالطاغوت والبراءة من الشرك وأهله فمن شك أو توقف وارتاب في حكمه وأمره ، فهو قد ردَّ دعوة الرسل أجمعين وشك فيها.

ولهذا قال شاهين بن السميدع كما في طبقات الحنابة (٤٦٠/١) سألت أبا عبد الله عمن يقول " أنا أقف في القرآن تورعا " قال : ذاك شاك في الدين، إجماع العلماء والأئمة المتقدمين على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ."

(قلت) في الشك تكذيب للوحي ورد للإجماع .

وقال إبراهيم عليه السلام لقومه المشركين (**كفرنا بكم**) أي اعتقدنا كفركم وهذا شرط لمن أراد الله واليوم الآخر كما في أول الآية . **قال مقاتل في تفسيره** : (يقول الله تبرءوا من كفار قومكم فقد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم ومن معه من المؤمنين في البراءة من قومهم) **وروى الطبري في تاريخه** (٢٤٤/١) **عن السدي قال** : انطلق إبراهيم ولوط قبل الشام فلقي إبراهيم سارة ، وهي ابنة ملك حران ، وقد طعنت على قومها في دينهم فتزوجها

على ألا يغيرها ، ودعا إبراهيم أباه آزر إلى دينه ، فقال له : يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ! فأبى أبوه الإجابة إلى ما دعاه إليه ثم إن إبراهيم ومن كان معه من أصحابه الذين اتبعوا أمره ، أجمعوا لفراق قومهم فقالوا : « إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنا بِكُمْ » أيها المعبودون من دون الله « وَبَدا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَالْبَغْضاءُ أَبَداً » أيها العابدون « حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ » اهـ

قال السمعاني في تفسيره : (أَمرهم بِأَن تأسوا بإبراهيم فِي التبرؤ من الْمُشْركين وَترك الْمُوَالَاة مَعَهم)

قول الله تعالى : {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ} قلت : فهؤلاء الذين كانوا زمن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعبدوا العجل، ولكنهم لما لم يكفّروا أسلافهم الذين عبدوا العجل ولم يتبرأوا منهم لهذا نسب الله الشرك والكفر وعبادة العجل لهم .

قول الله تعالى : {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ} [الصافات] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) يَقُولُ : نُظَرَاءَهُمْ . **وفي رواية قال** : (أَتْبَاعَهُمْ ، وَمَنْ أَشْبَهَهُمْ مِنَ الظَّلَمَةِ)

(قلت) من هؤلاء الأزواج للمشركين ، قوم لم يفعلوا فعلهم ، ولكنهم تولوهم ولم يبرؤوا من كفرهم ، فيحشرون معهم باسمهم .

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} المائدة

(قلت) فتولي الكافر يعتبر كفرا يلحق المتولي به ، ولو لم يعتقد عقيدته ، فمجرد

موالاته إياهم كافية لإلحاقه بهم، والموالاة قد تكون في محبتهم، أو في محبة دينهم أو في الحكم بإسلامهم ومعاملتهم معاملة المسلمين .

روى ابن أبي حاتم وغيره عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُتْبَةَ : لِيَتَّقِ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ ، يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا وَهُوَ لَا يَشْعُرُ ، قَالَ : فَظَنَنَّاهُ أَنَّهُ يُرِيدُ هَذِهِ الْآيَةَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) .

(قلت) فإذا كان تولي الكافر تعتبر إلحاقا به فعدم تكفيره يأخذ نفس الحكم .

فالسلف – رحمهم الله – قد ألحقوا بالجهمي –مثلا– وغيره من أهل الأهواء من يجالسه بعد العلم بحاله اسما وحكما ، ولا شك أن المجالس أخف حالا وأهون شرا ممن عذرهم ولم يكفرهم ، وقد كان الشيخ أبو حفص بن رجاء يتسلسل في هجر من يجالس فكيف بمن لا يكفر ؟؟؟ قَالَ مُحَمَّد بْن عبد اللَّه الخياط : كَانَ أَبُو حفص بْن رجاء لا يكلم من يكلم رافضي إلى عشرة . **روى**

ابن بطة في الإبانة (٥١١) **قَالَ قَتَادَةُ** : إِنَّا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الرَّجُلَ يُصَاحِبُ مِنَ النَّاسِ إِلا مِثْلَهُ , وَشِكْلَهُ فَصَاحِبُوا الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ أَنْ تَكُونُوا مَعَهُمْ , أَوْ مِثْلَهُمْ) **وفي**

رقم (٥١٢) **عن مالك بن دينار قال** : الناس أجناس كأجناس الطير : الحمام مع الحمام ، والغراب مع الغراب ، والبط مع البط ، والصعو – نوع من الطيور – مع الصعو ، وكل إنسان مع شكله".

[قلت] فأنت ترى أن قضية الشك والريب والتوقف كفر إذا كانت في الأمور الظاهرة كأصول التوحيد والإيمان ، وقد ورد في السنة ما يدل على أن أمر الشك

والتوقف في أصول التوحيد والإيمان كفر بواح ، وأن اليقين في مثل هذه الأمور شرط في صحة الإيمان ومن ذلك :

الأحاديث الواردة في الباب :

روى **عبد بن حميد** في مسنده (١١٨) والطبراني في الكبير (٥٩) وفي الدعاء (١٤٦٣) وابن خزيمة فى التوحيد (ص٣٤٢) وابن حبان (١٥١) والشاشي في مسنده (١٢٦٣) عن جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فِي وَصِيَّتِهِ الَّتِي تُوُفِّيَ عَنْهَا : لَوْلاَ أَنْ تَتَكِلوا لحَدَّثْتُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم ، يَقُولُ : مَنْ مَاتَ وَفِي قَلْبِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُوقِنًا دَخَلَ الْجَنَّةَ. .

وروى **الطبراني في المعجم** الأوسط (٧٧٨) وأبو يعلى في مسنده (٦٢٢٢) من طريق قزعة بن سويد عن عمرو بن دينار عن أبي هريرة قال قال رسول الله : "من قال لا إله إلا الله موقنا دخل الجنة " .

وروى **مسلم** عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له " من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة " .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أني عبده ورسوله ، ومن لقي الله عزوجل بهما غير شاك دخل الجنة "

وفي لفظ :" لا يلقى الله بها عبد غير شاك فتحجب عنه الجنة " [رواه مسلم]

[قلت] فاشتراط اليقين المنافي للشك والتوقف ، شرط في صحة لا إله إلا الله والتي مضمونها الكفر بالطاغوت وتكفير أهل الشرك والبراءة منهم .

وروى **سعيد بن منصور** في سننه (١٢٥) وابن أبي شيبة في المصنف (٦٥٨٠)

والبخاري في التاريخ الكبير (٣٥٧/٥) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٣٠٤) بإسناد صحيح عن عبد الرحمن بن نوفل الأشجعي عن أبيه قال : قلت : يا رسول الله ، إني حديث عهد بشرك ، فمرني بأمر يبرئني من الشرك ، قال : اقرأ : قل يا أيها الكافرون » ، فما أخطأها أبي من يوم ولا ليلة حتى فارق الدنيا .

وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٨٠٤) عن فروة الأشجعي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل : إقرأ " قل يا أيها الكافرون" عند منامك فإنها براءة من الشرك .

[قلت] فدله النبي صلى الله عليه وسلم على تكفير الكافر من خلال قراءة سورة البراءة من الشرك وأهله والتي مطلعها (قل يا أيها الكافرون) ليبرأ من الشرك عامة فمن لم يكفر الكافر المشرك لم يبرأ من الشرك بعد .

وروى سعيد بن منصور في تفسيره (١٢٩) وبن الضريس (ص١٢٨) والنسائي في فضائل القرآن (٥٣) وفي عمل اليوم والليلة (٧٠٤) عن أبي الحسن التيمي قال : سمعت رجلا يقول : كنت أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة ظلماء فسمع قارئا يقرأ : قل يا أيها الكافرون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما هذا فقد برئ من الشرك »

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْتَرِطْ عَلَيَّ ، فَقَالَ : تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُصَلِّي الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ ، وَتَنْصَحُ لِلْمُسْلِمِ ، وَتَبْرَأُ مِنَ الْكَافِرِ) . [رواه أحمد (١٩١٥٣) والنسائي (٧٨٠٠) والطبراني (٢٣١٨) والدارقطني في المؤتلف والمختلف (٢٢٧٣/٤) وأبو الشيخ في التوبيخ (١) والبيهقي في السنن (١٣/٩) وسنده صحيح]

روى ابن أبي شيبة وأحمد عن أبي مالك عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه

وسلم قال : من وحد الله وكفر بما يعبد من دونه فقد حرم دمه وحسابه على الله ".
وفي لفظ مسلم :" من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله... " **وروى ابن منده في الايمان** عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" بني الإسلام على خمس أن يعبد الله ويكفر بما دونه....." الحديث .

فصل :

أوجه وأسباب تكفير العاذر الذي لم يكفر أعيان من تلبس بكبار الكفريات التي (تنقض أكبر أصول التوحيد وأصول معرفة الله وأصول الدين)

أوجه وعلل الكفر في ذلك كما يلي :

١/ فيه رد وتكذيب الشرع والإجماع .

٢/ فيه مساواة الكافر بالمسلم في أصل وصفهم بالإسلام وهذا كفر مستقل .

٣/ ومن العلل أن العاذر جاهل بالإسلام والكفر لا يفرق بين الإيمان والكفر .

٤/ من أوجه كفر العذر أنه هدم ونقض أصل عقيدة الولاء والبراء مع هؤلاء المستلزم لتكفيرهم والبراءة منهم .

٥/ من أوجه كفر من عذر هؤلاء ولم يكفرهم نقضه ورده لما يترتب على تكفيرهم من الأحكام الشرعية المتعلقة بالمرتدين من : (طلاق نسائهم لارتداد أزواجهم) و(رد شهادتهم) و(جعل أموالهم في بيت مال المسلمين) (وتحريم الصلاة والترحم عليهم) (وعدم دفنهم مع المسلمين) (وجهادهم بالسنان واللسان) (ووجوب الهجر لهم)

٦/ يترتب على العذر إبطال وهدم الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ومنه قول بعض العاذرية دع الكافر الجاهل كما هو عليه يسلم ولا يكفر !! ورد ونقض

هذه الأحكام كفر مستقل تلبس به من عذرهم ووصفهم بالإسلام . /٧

من أوجه كفره أيضا أنه حارب ونفى هذا الأصل العظيم وهوالحكم الشرعي بتكفيرهم.. ومحاربة شيء من الأصول ونفيه يعد كفرا مخرجا من الملة . /٨

ومن العلل محاربة الحكم الشرعي في حد ذاته ، ولهذا تجدهم يعقدون الدروس والمحاضرات والكتب باسم (فتنة التكفير) (جريمة التكفير) وهذه محاربة وطعن في الأحكام الشرعية ، والتي مثلها مثل التحليل والتحريم .

الأمم الخمس الكافرة لا تقبل العذر في عدم تكفيرهم :

فالأمم التي خلقها الله والتي عليها مدار هذه الأحكام السابقة ترجع إلى أصول سبعة لا يخرجون عنها مهما كان معتقدهم وهم : اليهود ، النصارى ، الصابئة المجوس ، المشركون (الوثنيين) ، المنافقون ، المسلمون .

فخمس منها كافرة في الدنيا والآخرة : وهي ما عدى المنافقين والمسلمين .

وواحدة هي في أحكام الدنيا في عداد المسلمين ظاهرا ، وكفار في الحكم الأخروي ، وهم المنافقون . فهذه ستة أديان للشيطان . **وواحد لله تعالى** وهم المسلمون .

فهذه الأمم السبع هي أصحاب الأبواب الجهنمية السبعة ، وقد استوعبت عقائد أهل الأرض كلها ، وأيُّ فرع قد تظنه ليس منها إنما هو راجع إليها في الواقع .

وعلى هذا ورد الوحي وآثار السلف كما سيأتي .

قال الله تعالى { وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ } [الحجر: ٤٤] **روى ابن أبي حاتم في تفسيره** (١٢٣٩٥) عَنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ { لَهَا

سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ } قَالَ : باب لليهود، وباب للنصارى، وباب للصابئين ، وباب للمجوس ، وباب للذين أشركوا – وهم كفار العَرَب– وباب للمنافقين ، وباب لأهل التوحيد ، فأهل التوحيد يرجى لَهُمْ ولا يرجى للآخرين أبدًا) . [الدر ٥/ ٨٢– ٨٣] **وقال**

أيضا : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هادُوا وَالنَّصارى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الحج ١٧] **قَالَ ابْن**

عَبَّاس : ذكر الله تَعَالَى سِتَّة أَجنَاس فِي قَوْله: {إِن الَّذين آمنُوا وَالَّذين هادوا} الْآيَة وَجعل خَمْسَة فِي النَّار وَوَاحِد للجنة فَقَوله: {هَذَانِ خصمان} ينْصَرف إِلَيْهِم، فالمؤمنون خصم، وَسَائِر الْخَمْسَة خصم [ذكره السمعاني في تفسيره (٤٢٩/٣)]

روى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعالَى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى ، وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا} قَالَ : « الصَّابِئُونَ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَيُصَلُّونَ الْقِبْلَةَ وَيَقْرَءُونَ الزَّبُورَ ، وَالْمَجُوسُ يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ ، وَالْأَدْيَانُ سِتَّةٌ ، خَمْسَةٌ لِلشَّيْطَانِ ، وَوَاحِدٌ لِلرَّحْمَنِ »

[رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٩٣٩) ومن طريقه الطبري (٥٨٤/١٨) وابن أبي حاتم (١٣٨٠٧) وغيرهم وسنده صحيح]

روى ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٨٠٩) عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: قَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ الصَّابِئُونَ: نَحْنُ نَعْبُدَ الْمَلائِكَةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَقَالَتِ الْمَجُوسُ: نَحْنُ نَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ دُونَ اللَّهِ، وَقَالَ أَهْلُ الأَوْثَانِ: نَحْنُ نَعْبُدُ الأَوْثَانَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَوْحى اللَّهُ– عَزَّ وَجَلَّ– إِلَى نَبِيِّهِ لِيُكَذِّبَ قَوْلَهُمْ قُلْ

هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ السُّورَةَ كُلَّهَا .

(قلت) فأهل الأوثان ومنهم عباد الأضرحة والقبور وهم كفار العرب كما قال قتادة من الأمم الكافرة التي هي مثل اليهود والنصارى والمجوس والصابئة ظهورا في الكفر .

فصل كلام المتقدمين في تكفير الكافر ومن شك فيه :

وهذا فصل فيها ذكر الآثار عن المتقدمين في تكفير عاذر المشركين ومن توقف في كفره أو شك فيه ، حيث كفروا عاذر من قال ببعض أقوال الجهمية فضلا عن الجهمي الصرف المعطل الذي عنده سبعون ناقض ، وفضلا عن المشرك الذي عبد الأوثان والأضرحة وحارب الله بكفره .

قَول أَبـي خَيْثَمَةَ مصعب بـن سعيـد :

قال رحمه الله : مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ , وَمَنْ شَكَّ فِي كُفْرِهِ فَهُوَ كَافِرٌ . [مذاهب أهل السنة لابن شاهين (٢٦) اللالكائي (٤٣٠)]

قول الليث بـن سعد :

قال رحمه الله : من قال القرآن مخلوق ، فهو كافر ، ومن لم يقل : هو كافر فهو كافر) . اهـ [الانتصار للعمراني (٢/٥٥٢)]

قول أبي بـكر بن عياش :

قال يحي بن خلف المقرئ :أتيت الكوفة فلقيت أبا بكر بن عياش فسألته : ما تقول في من قال : القرآن مخلوق ؟ فقال : كافر ، وكل من لم يقل : إنه كافر فهو كافر ، ثم قال : أيُشك في اليهودي والنصراني ، أنهما كافران ؟ فمن شك في هؤلاء أنهم كفار ، فهو كافر ، والذي يقول : القرآن مخلوق مثلهما " اهـ [السنة

لحرب الكرماني (٣٧٥) واللالكائي (٤١٢)] **قول**

أحمد بن حنبل : **قال**

الإمام أحمد رحمه الله : من قال : القرآن مخلوق فهو كافر ، ومن شك في كفره فهو

كافر . [طبقات الحنابلة (٤٦١/١)] **وقال**

أيضا : والقرآن كلام الله تكلم به ، ليس بمخلوق ومن زعم أنّ القرآن مخلوق فهو

جهمي كافر ، ومن زعم أنّ القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو

أخبث من قول الأول ، ومن زعم أنّ ألفاظنا به ، وتلاوتنا له مخلوقة ، والقرآن كلام

الله فهو جهمي ، ومن لم يكفر هؤلاء القوم فهو مثلهم) .

[أصول السنة برواية عبدوس العطار (ص ٧٩)]

ويقول أيضاً : وما في اللوح المحفوظ وما في المصحف وتلاوة الناس وكيفما وُصف ،

فهو كلام الله غير مخلوق ، فمن قال مخلوق ، فهو كافر بالله العظيم ومن لم يكفره

فهو كافر ... الخ . [برواية مسدد المطبوع برواية الخلال ص ٦٠]

قول عبد الوهاب الوراق :

قال المروذي : سألت عبد الوهاب عمن لا يكفر الجهمية ، قلت : يا أبا الحسن

يصلى خلفه ؟ قال : لا يصلى خلفه ، هذا ضال مضل ، متهم على الإسلام .

[ذكره المروذي في كتاب الورع (ص ٨٩)]

(**قلت**) ومن الغباء أن يأتيك الجهمي اليوم ويقول أن أتورع عن التكفير !! وها هو

تكفير العاذر في كتاب الورع يا أحمق .. ورعك مظلم .

قال المروذي : سألت عبد الوهاب : يجالس من لا يكفِّر الجهمية ؟ قال : لا

يُجَالَسون ، ولا يُكَلَّمون ، **المرء على دين خليله** . [الورع (ص ٨٩)]

قول يزيد بن هارون :

جاء في الابانة لابن بطة (٢٥٧)عن يَزِيد بْنِ هَارُونَ يَقُولُ: مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ لَمْ يُكَفِّرْهُ فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ شَكَّ فِي كُفْرِهِ فَهُوَ كَافِرٌ."

قول سلمة بن شبيب :

وسلمة بن شبيب النيسابوري (٢٤٧ هـ) هو محدث أهل مكة قال داود بن الحسين البيهقي بلغني أن الحلواني قال : لا أكفر من وقف في القرآن ، قال داود : فسألت سلمة بن شبيب عن الحلواني فقال (يرمى في الحُش ،من لم يشهد بكفر الكافر فهو كافر). [تاريخ بغداد (٧/٣٦٥) وتاريخ دمشق (١٦٩٢)]

قول سفيان بن عيينة :

روى عبد الله في السنة (٢٥) قال سُفْيَان بْن عُيَيْنَةَ : الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ قَالَ : مَخْلُوقٌ ، فَهُوَ كَافِرٌ ، وَمَنْ شَكَّ فِي كُفْرِهِ فَهُوَ كَافِرٌ .

قول هارون الفروي :

قَالَ هَارُونُ يَعْنِي الْفَرْوِيَّ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَمَنْ قَالَ : مَخْلُوقٌ ، فَهُوَ كَافِرٌ ، وَمَنْ شَكَّ فِي الْوَاقِفَةِ فَهُوَ كَافِرٌ . [السنة لعبدالله (١٩٧) وابن النجاد في الرد على من قال القرآن مخلوق (١١١)]

قول إسحاق بن راهويه :

قال حرب في مسائله (٣/١١٢٤) سمعتُ إسحاق يقول : ليس بين أهل العلم اختلاف أن القرآن كلام الله ، وليس بمخلوق ، وكيف يكون شيء من الرب عز ذكره مخلوقًا ؟! ولو كان ما قالوا لكان يلزمهم أن يقولوا : علمه وقدرته ومشيئته مخلوقة فإن قالوا ذلك لزمهم أن يقولوا: كان الله تبارك اسمه ولا علم ولا قدرة ولا

مشيئة. وهو الكفر المحض الواضح، لم يزل اللَّه عالما متكلمًا، له المشيئة والقدرة في خلقه. والقرآن كلام اللَّه وليس بمخلوق ، فمن زعم أنه مخلوق ، فهو كافر ، ومن وقف فهو شر منه) اهـ .

قول أبي زرعة وأبي حاتم وحكوه إجماعا :

قالا : من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم كفراً ينقل عن الملة ، ومن شك في كفره ممن يفهم فهو كافر) اهـ

وقال نحوه مرة أخرى أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي (٢٧٧هـ) وروى ذلك كله اللالكائي في السنة (١٧٦/٢) وسيأتي شرح قوله (ممن يفهم) .

قول حرب الكرماني حكاه إجماعا :

قال–رحمه الله–: من زعم أن ألفاظنا بالقرآن وتلاوتنا له مخلوقة والقرآن كلام الله فهو جهمي خبيث مبتدع ، ومن لميكفر هؤلاء القوم ولا الجهمية كلهم فهو مثلهم

[مسائل حرب الكرماني (ص٣٦٠)] **قول**

زياد بن أيوب الطوسي دلويه : **قال**

رحمه الله : من قال: القرآن مخلوق فهو كافر لاشك فيه ، قيل له : فمن لم يكفرهم يسمع منه ؟ قال : لا ، ولا كرامة ، قيل له : فإن لي منهم قرابات أبرهم وأسلم عليهم ؟ قال : لا ولا تشهد جنائزهم ولا تعدهم .[طبقات الحنابلة (٤٢٢/١)]

قول زهير بن حرب :

وقال رحمه الله : "من زعم أن القرآن كلام الله مخلوق ، فهو كافر، ومن شك في كفره فهو كافر . [شرح أصول الاعتقاد (٤٣٠)]

قول أبي القاسم سليمان الطبراني :

قال ابن طاهر المقدسي في الحجة على تارك المحجة (٤٨٤/٢) : قرأت على أبي بكر السمسار بأصبهان، أخبركم جعفر الفقيه قال : (سألت أبا القاسم سليمان الطبراني : ما قولك –رحمك الله– فيمن يقول : إن أهل التوحيد يخرجون من النار إلا من يقول : القرآن مخلوق ؟ فكتب في جوابه : من قال : القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم بلا اختلاف بين أهل العلم والسنة؛ لأنه زعم أن الله تعالى مخلوق؛ لأن القرآن كلام الله عز وجل تكلم به وكلم به جبريل الروح الأمين، وأنزله جبريل عليه السلام من عند الله هكذا. قال الله تبارك وتعالى: {نزل به الروح الأمين}، وأنزله جبريل على قلبك، من قال: إنه مخلوق، فهو شر من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان، وليس من أهل التوحيد المخلصين الذين أدخلهم الله النار عقوبة منه لأعمال استوجبوا بها النار، فيخرجهم الله من النار برحمته وشفاعة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشفاعة الشافعين، ومن زعم أن من يقول: ((إن القرآن مخلوق) يخرج من النار فهو كافر كمن زعم أن اليهود والنصارى يخرجون من النار)

(قلت) الطبراني عاش مائة عاماً سمع فيها الحديث من قرابة الألف شيخ أحد هؤلاء الألف عبد الله بن أحمد ابن حنبل الذي جمع علم أبيه وابن معين وغيرهم ، وهو هنا ينقل الإجماع ليس فقط على كفر الجهمية بل على خلودهم في النار وعلى كفر من خالف في كفرهم وخلودهم في النار .

قول محدثي أهل بغداد من أهل السنة :

جاء في تاريخ بغداد (١١/ ٢٠٩) عن أبي علي العنزي قال : امتحن عمر بن شبة بسر من رأى بحضرتي فقال: القرآن كلام الله ليس بمخلوق فقالوا له : فتقول من

وقف فهو كافر فقال : لا أكفر أحدا فقالوا له أنت كافر ومزقوا كتبه فلزم بيته وحلف أن لا يحدث شهرا ، وكان ذلك حدثان قدومه من بغداد بعد الفتنة) .

قول البربهاري :

قال البربهاري في شرح السنة :" ولا يخرج أحدا من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله عزوجل أو يرد شيئا من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يصلي لغير أو يذبح لغير الله فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام ." اهـ

قول ابن بطة :

قال بن بطة رحمه الله في الإبانة الصغرى (ص١٢٨ ـ ١٢٩) : من قال مخلوق أو قال كلام الله ووقف أو شك أو قال بلسانه وأضمره في نفسه فهو كافر حلال الدم بريئ من الله والله منه بريئ ومن شك في كفره ووقف عن تكفيره فهو كافر ."

قول بن سحنون المالكي :

جاء في الصارم المسلول (ص٣٣٥) عن محمد بن سحنون المالكي قال : أجمع العلماء على أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المنتقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله وحكمه عند الأئمة القتل ومن شك في كفره كفر." اهـ

قول أبي الحسين الملطي :

قال في كتابه التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع حاكيا الإجماع : (فأما الذي يكفر فيه معتزلة بغداد معتزلة البصرة فالقول في الشاك والشاك في الشاك ، ومعنى ذلك أن معتزلة بغداد والبصرة وجميع أهل القبلة لا اختلاف بينهم أن من شك في كافر فهو كافر ، لأن الشاك في الكفر لا إيمان له ، لأنه لا يعرف كفرا من إيمان ، فليس بين الأمة كلها المعتزلة ومن دونهم خلاف أن الشاك في الكافر كافر) اهـ

قول ابن الحنبلي :

وقال **ابن الحنبلي** لما ذكر أصناف الجهمية الزنادقة : (ومنهم من قال لا يكفر هؤلاء بل يسكت عنهم) [الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة]

ومما جاء في بعض أقوال المتأخرين :

ذكر صاحب الإقناع الحنبلي (٤/٢٨٧-٢٨٩) قال : من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أوصحح مذهبهم كفر " اهـ هذا الحكم ينقله ولا يخالفه حتى بعض الأشعرية فقد قال ذاك القاضي عياض في الشفا : وَلِهَذَا نكفر من لم يكفر مَنْ دَانَ بِغَيْرِ مِلَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمِلَلِ ،أَوْ وَقَفَ فِيهِمْ ، أَوْشَكَّ ،أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ ، وَإِنْ أَظْهَرَ مَعَ ذَلِكَ الْإِسْلَامَ وَاعْتَقَدَهُ وَاعْتَقَدَ إِبْطَالَ كُلِّ مَذْهَبٍ سِوَاهُ ، فَهُوَ كَافِرٌ بِإِظْهَارِهِ مَا أَظْهَرَ مِنْ خِلَافِ ذَلِكَ) اهـ .

العاذرون للكفار والمتوقفون في تكفيرهم على أنواع :

النوع الأول : من لم يكفر جميع ملل الكفر بمختلف أنواعهم وقال أنا لا أكفر أحدا ، واعتقد أن الإنسان مهما عبد الله بأي دين غير دين الإسلام ولو كان ذلك بظنه وما استحسنه برأيه فإن ذلك ينفعه ، وهذا كافر دون أي شك بل من يتوقف في تكفيره فهو أكفر منه ، لقوله تعالى {ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين } .

النوع الثاني: من لا يكفر أهل الكتاب اليهود والنصارى بحجة أن دينهم سماوي وأنهم متبعون لرسولهم وكتابهم أو أنهم معذورون بالجهل وأن الحجة لم تقم عليهم أو أنهم من أهل الفترة ، أو غير هذه من الإعتذارات السخيفة ، كم اهو منتشر في مصر وبعض البلدان ، وفي الإخوان خاصة ، وهؤلاء كلهم كفار لا شك في

تكفيرهم وكفر من لا يكفرهم لقوله تعالى { لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة }

النوع الثالث : من توقف أو شك في تكفير المشركين من أهل الأوثان والأصنام والأضرحة والقبور وغير ذلك من الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم ، سواء كانوا قد ولدوا في الشرك وتربوا عليه هم وآباؤهم وأجدادهم ولم يعرفوا الإسلام ولم يدخلوا فيه أصلا ، أو كانوا مرتدين إلى عبادة غير الله ، ممن ينتسب للإسلام زورا ، فهؤلاء لا شك في كفر من لم يحكم بكفرهم ، وأعطاهم اسم المسلمين ، فإذا انضاف إلى ذلك جداله عنهم واعتذاره لهم فقد تم كفره وخبثه وصار من شياطين الإنس .

النوع الرابع : من توقف أو شك في كفر من ارتد ببدعة مكفرة كبدعة الروافض الزنادقة أو الإسماعلية أو الجهمية ، فهؤلاء كلهم كفار ومثلهم من توقف أو شك في تكفيرهم ، لأ كفرهم واضح بين .

النوع الخامس : من توقف في تكفير من أطلق مقالة كفرية لكنها كلامية ، كمن توقف في تكفير من قال (القرآن مخلوق) فمن يسمى بالعلماء وطلبة العلم وكل من يفهم معنى المقالة ، لا يعذرون بتوقفهم لوضوح كفر المقالة عندهم . أما إذا كان عاميا لا يفهم معنى هذه العبارة وكان مثله لا يحسن الكلام وتوقف في كفر من قالها ، فهذا يبدع فقط كبداية كما صرح الرازيان ، ثم يبين له معنى كلامهم ومقصودهم منه وكفرهم ، فإن تردد بعد ذلك يكفر .

النوع السادس: من شك أو توقف في تكفير تارك الصلاة ، فهذا لا يكفر بل ينسب للإرجاء فقط ، لأن السلف لم يكفروا المرجئة ، مع علمهم بأنهم لا يكفرون تارك الصلاة ، وقد بينت هذا في كتاب مفرد (تمهيد الطرق) .

النوع السابع : من توقف في تكفير المختلف في تكفيره مانع تارك الزكاة مثلا أو الخوارج ، فهذا لا يكفر بإجماع لأن الخلاف قديم في ذلك .

النوع الثامن: من توقف أو شك في ثبوت وصف الكفر أو الردة لشخص ما كأن لم يتبين له وجه الوصف أو لم يثبت عنده كفره بدليل واضح عنده ، فهذا العاذر لا يكفر فقد اختلف بعض السلف في كفر أبي حنيفة والحجاج ، ولم يكفر بعضهم بعضا ، لكن قد يضلل أو يبدع ، على حسب حالته من حيث الخفاء والظهور .

النوع التاسع : من توقف في إطلاق اسم الكافر على المشرك لكن يسميه مشركا في الدنيا ، ويتوقف في الشهدة عليه بالنار إن مات على كفره ، بحجة أنه قد تكون له أعذار فيما بينه وبين الله عزوجل ، أو أنه لم تبلغه الحجة ، ويكون من أهل الفترات المزعومة ، فهذا يكفر أيضا وينزل عليه كلام الطبراني السابق ، بسبب أنه مكذب للنصوص المتواترة والأصول الواضحة بينتها في كتابي (لفت الأنظار) .

هل تكفير العاذر يستلزم التسلسل :

اعلم أن التسلسل لفظ مجمل لا يتلفظ به السلف فيه تفصيل ، ليس كل تسلسل باطل وليس كله صحيح ، فمنه ما هو حق ومنه ماهو باطل ومنه مسكوت عنه .

ولهذا السَّلفُ وأئمَّةُ الدِّين لم يتكلموا بِهِ ، وما لم يتكلموا بِهِ هُجِر وتُرك ولزم اجتنابهُ وقد قال إمامُ أهلِ السُّنَّة أبو عبدِ اللَّه أحمد بن حنبل رحمه الله : (يجتنبُ المتكلم في الفقه هذين الأصلينِ : المجملُ ، والقِيَاس) .

فمن لم يكفر مثلا من نصَّ الله في القرآن بشكل واضح على كفره واتضح لكل المسلمين كفره ككفر إبليس وفرعون وأبي لهب وأهل الكتاب مثلا ، فهذا يكفر من عذرهم ومن عذرهم .. وهكذا ، لأن الجميع مكذب بالقرآن الصريح والإسلام كله

ولا عذر لهم يقبل ، لأن العاذر الثاني والثالث والرابع هم في الحقيقة كلهم مكذبون بالنص ، فلو سألت العاذر الثالث مثلا لما لم تكفر العاذر الأول وهو يكذب بكفر إبليس ؟ فهنا إما أن يقر بكفر هذا العاذر لتكذيبه الصريح أو يكذب ويجحد النص هو أيضا ، فليس هذا تسلسلا بل هذا تكفير بالنص والتكذيب لهم جميعا .

ولهذا تجد أبا بكر بن عياش يستدل بكفر عاذر أهل الكتاب على عاذر الجهمية ويجعل عاذر أهل الكتاب الأصل المقاس عليه لوضح كفره المنصوص عليه ، ومثله الطبراني جعل ذلك أصلا في تكفير عاذر الجهمية ومن قال بعدم خلودهم في النار

لكن التسلسل مسكوت عنه في ما عادى هذه الأمور ، مما قد يكون فيه بعض الشبهات في عاذر العاذر ، مثل تكفير بعض الفرق الكلامية ، أو ببعض المقالات الكلامية كالقول بخلق القرآن أو الرؤية ونحوه ، أو في قضايا الردة والزندقة ، إنما يكتفي السلف بتكفير المشرك وعاذره ، ويسكتون عما وراء ذلك ، ولا يذكرون شيئا عن التسلسل ، ولا تجد أي كلام لهم إلا في العاذر الأول ، وإنما الكلام بعد ذلك هو من إحداث المعتزلة كما ذكره الملطي وأصحاب المقالات .

قال أبو الحسين الملطي (ت ٣٧٧ هـ) حين قال : (فأما الذي يكفر فيه معتزلة بغداد معتزلة البصرة فالقول في الشاك والشاك في الشاك ، ومعنى ذلك أن معتزلة بغداد والبصرة وجميع أهل القبلة لا اختلاف بينهم أن من شك في كافر فهو كافر ، لأن الشاك في الكفر لا إيمان له ، لأنه لا يعرف كفرا من إيمان ، فليس بين الأمة كلها المعتزلة ومن دونهم خلاف أن الشاك في الكافر كافر ، **ثم زاد معتزلة بغداد على معتزلة البصرة** أن الشاك في الشاك والشاك في الشاك إلى الأبد إلى ما لا نهاية له كلهم كفار، وسبيلهم سبيل الشاك الأول، وقال معتزلة البصرة الشاك الأول كافر

لأنه شك في الكفر والشاك الثاني الذي هو شاك في الشك ليس بكافر بل هو فاسق لأنه لم يشك في الكفر إنما شك في هذا الشاك أيكفر بشكه أم لا ، فليس سبيله في الكفر سبيل الشاك الأول ، وكذلك عندهم الشاك في الشاك والشاك في الشاك إلى ما لا نهاية له كلهم فساق إلا الشاك الأول فإنه كافر وقولهم أحسن من قول أهل بغداد). اهـ [كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء] .

وجاء في كتاب التبصير في الدين للإسفرائيني وهو يتكلم عن فرقة من المعتزلة اسمها المردارية وهم أَتبَاع أبي مُوسَى المردار المعتزلي قال الإسفرائيني (ص٧٧) : وَكَانَ يَقُول كل من قَالَ بِجَوَاز رُؤْيَة الْبَارِي سُبْحَانَهُ فَهُوَ كَافِر وَمن شكّ فِي كفره فَهُوَ كَافِر وَمن شكّ فِي كفر من شكّ فِي كفره فَهُوَ كَافِر لَا إِلَى غَايَة وكل من أطلق مثل هَذِه الْمقَالة فَهُوَ مخذول لَا شكّ فِي كفره) اهـ

وبنحو هذا ذكر البقية كالبغدادي في الفرق

وهكذا ذكر غالب من كتب في الفرق أن التسلسل عند المعتزلة كان فيما يخص المقالات الكلامية عندهم ، وليس في المنصوص من الأصول الواضحة المنصوصة في القرآن ، والتي سبق الإشارة إليها .

ومن المسائل التى اخترعها معتزلة بغداد أيضاً أنهم كانوا يكفرون من قال بخلق أفعال العباد ،كما كانوا يقولون بتكفير المجبرة ومن شك في كفرهم إلى مالا نهاية وعليه أكفر معتزلة بغداد أهل السنة والجماعة ، لقولهم أن أفعال العباد مخلوقة وأكفروا كذلك معتزلة البصرة لا لنفس السبب، ولكن لأنهم كانوا يكفرون أهل السنة ومن شك فى كفرهم فقط.

فصل أجوبة عن شبهات المخالفين في كفر العاذر :

١/ احتج أكثرهم بالقيد المذكور في بعض كلام أهل الحديث أن يكون العاذر لا يفهم !! وأطلقوا هذا القيد وجعلوه ضابطا .

قَالَ أَحْمَد بْن منيع رحمه الله تعالى : من زعم أَن القرآن مَخْلُوق فَهُوَ جهمي وَمن وقف فِيهِ ، فَإِن كَان مِمَّن لَا يعقل مثل البقالين وَالنِّسَاء وَالصبيان سكت عَنهُ وَعلم وَإِن كَانَ مِمَّن يفهم فَأَجره فِي وَادي الْجَهْمِية.

وقال أبو حاتم الرازيّ رحمه الله تعالى: من زعم أنه مخلوق مجعول فهو كافر كفرا ينتقل به عن الملة ومن شك في كفره ممن يفهم ولا يجهل فهو كافر ومن كان جاهلاً علم فإن أذعن بالحق بتكفيره وإلا ألزم الكفر .

والجواب : في هذه المسألة المهمة التي زل فيها الكثير وخلطوا في فهم عبارة (ممن يفهم) نقول : لماذا عبروا هنا بقولهم (ممن يفهم) وجعلوه قيدا ؟

عندنا هنا ثلاث استثناءات في هذه المسائل : ١/

أن يكون هذا العاذر ممن لا يفهم ، هذا العذر خاص بالعوام كالبقالين والنساء والصبيان ، أما ممن ينتسب للعلماء وطلبة العلم فهم يفهمون ويعرفون جيدا ما تقصد الجهمية بخلق القرآن وأنه كفر .

٢/ أن هذا الوصف أطلق فقط خاصة بقضية خلق القرآن لا وصف عام في كل العاذرين للمشركين ، ومن قال هو عام عليه أن يأتي بنص عام صريح .

٤/ أن من صرح بخلق القرآن كافر مباشرة لم يفصلوا فيه ، ولا يشمله كلامهم إنما يتكلمون في عاذره فقط ، وكلامهم أمامك واضح .

ومن خالف في هذه القيود وجعلها موسعة لزمه ما يلزم مرجئة وجهمية العصر في قضية العذر بالجهل والتقليد وغيرها من الأعذار... ولزمه أن يقول بمذهبهم .

إذن ما المقصود بقولهم (ممن يفهم) ؟

الجواب : القصد أن هذه المسألة صعبة الفهم أي أن عبارة (القرآن مخلوق) وحكم قائلها قد لا يفهم العوام وجه التكفير فيها ، وإن شئت جربهم لترى علامات الدهشة والإستغراب فيما لو سألت أحدهم اليوم فقلت : هل من يقول القرآن مخلوق كافر ؟ فلن تحصل على مجرد الفهم لهذا السؤال ، لأن العبارة كلامية معقدة عند العوام ، ولهذا تجد أحمد يشترط في كفر من قال بالوقف واللفظ أن يكون ممن يحسن الكلام ويفهم هذه الإطلاقات ، واليك مثالا صريحا على ذلك :

فروى يَحْيَى بْنُ يُوسُفَ الزِّمِّيُّ قَالَ : حَضَرْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ إِدْرِيسَ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، إِنَّ قِبَلَنَا نَاسًا يَقُولُونَ : إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ ، فَقَالَ : مِنَ الْيَهُودِ ؟ قَالَ: لَا ، قَالَ : فَمِنَ النَّصَارَى ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَمِنَ الْمَجُوسِ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَمِمَّنْ ؟ قَالَ : مِنَ الْمُوَحِّدِينَ قَالَ : كَذَبُوا لَيْسَ هَؤُلَاءِ بِمُوَحِّدِينَ هَؤُلَاءِ زَنَادِقَةٌ ، مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَخْلُوقٌ ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ ، هَؤُلَاءِ زَنَادِقَةٌ هَؤُلَاءِ زَنَادِقَةٌ »

[خلق أفعال العباد (ص٣٠) والسنة لعبد الله (٢٩)]

أما الشرك الأكبر الواضح فلا يحتاج شرحا ولا بيانا ، فهو واضح وكل البشر ممن كفر يعرف أنه كفر عند مخالفه من المسلمين ويفهم لماذا ، ولهذا لو سألت عاميا فقلت له : ما حكم من ذبح لغير الله أو دعى غير الله ؟ سيفهم السؤال مباشرة ، ويجيبك ، ولا يحتاج أن تشرح له السؤال .

ومثله التكذيب أن القرآن كلام الله وأنه مخلوق هذا كفر بين ولهذا لم يفصلوا فيه .

قال حرب : سمعت أحمد بن حنبل وذكر عنده كلام الناس في القرآن أنه مخلوق فقال : كفرٌ ظاهر ، مرتين . [مسائل حرب (ص ٤١)] **قال حرب** : سمعتُ إسحاق يقول: ليس بين أهل العلم اختلاف أن القرآن كلام اللَّه، وليس بمخلوق، وكيف يكون شيء من الرب عز ذكره مخلوقًا ؟! ولو كان ما قالوا لكان يلزمهم أن يقولوا : علمه وقدرته ومشيئته مخلوقة. فإن قالوا ذلك لزمهم أن يقولوا : كان اللَّه تبارك اسمه ولا علم ولا قدرة ولا مشيئة ، وهو الكفر المحض الواضح ، لم يزل اللَّه عالما متكلمًا ، له المشيئة والقدرة في خلقه. والقرآن كلام اللَّه وليس بمخلوق، فمن زعم أنه مخلوق، فهو كافر، ومن وقف فهو شر منه . [مسائل حرب (ص٤١) وانظر شرح أصول الاعتقاد" ٢/ ٢٤٠ (٣٥٢)]

ولهذا القيد المهم يشترط أهل الحديث (**الفهم**) في قضية خلق القرآن عند العوام فقط لأنهم غالبا هم ممن لا يفهم هذه الإطلاقات التي يستعملها الجهمية لكن لو سألت العوام : ما حكم من ينفي علو الله في زمن السلف ؟ سيفهم السؤال ويكفره بل ويريد قتله فوق ذلك ، واليوم العامي أيضا يكفره إن كان عرف الإسلام وما يزال على فطرته السليمة ولم يلعب بعقله الجهمية والأشعرية .

وللتوضيح أكثر لو سألت عاميا اليوم فقلت له : ما حكم من ينفي الجهة والمكان لله تعالى ؟ فغالبا لن يفهم هذا الأمر فضلا أن يقول هو كافر ، فتحتاج أن تبين له هذا النوع من الكفر وأن المقصود منه نفي العلو ، ولا ينبغي أن تكفره مباشرة دون توضيح ، بخلاف ما إذا لو سألته ما حكم من سب الله مثلا ، أو سجد لغيره ونحو هذا من الكفريات الواضحة التي لا تحتاج تفكيرا أو شرحا .

ولهذا نقول : أن من قاس هذه المسألة وجر عليها باقي النواقض الواضحة البينة فقيدها بالجهل ، في الكافر وعاذره ، فقد ضل وأضل ، فافهم ولا تجهل .

أجوبة عن بعض النقولات فيمن يرى التفصيل في العاذر :

وهنا بعض لنقولات المشتبهة التي لا طالما يتمسك بها المخالفون في هذا الباب ويجعلونها الأصل !! ويتركون المحكمات ، وكان من المفروض أن تجعل هذه الشبهات محلا للرد أو للتوجيه المناسب لها ، لا أن تحل محل الأصل ويرد إليها المحكمات !!

١/ **قال في رواية أبي طالب** : من قال : القرآن مخلوق ، فهو كافر ، ومَنْ لا يكفر من قال : القرآن مخلوق ، فلا نكفره . [الروايتين والوجهين من كتاب مسائل العقيدة (ص ١١١) والفروع (٦/٥٦٨)]

قلت

هذه الرواية شاذة منكرة لا تثبت تفرد بروايته ابن أبي يعلى وهو ممن يروي المنكرات عن الإمام أحمد في كتبه ، والرواية بهذا اللفظ لا تصح تصرف فيها ابن أبي يعلى بخبثه فأفسدها والنص بتمامه موجود كما في في طبقات الحنابلة (١/٤١٤) والمقصد الأرشد (١٢٤٤) قال ابن أبي يعلى : وقال يَعْقُوب الدورقي سألت أَحْمَد بن حنبل عمن يقول القرآن مخلوق فقال : كنت لا أكفرهم حتى قرأت آيات من القرآن " ولئن اتبعت أهواءهم من بعدك ما جاءك من العلم " وقوله " بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ العلم " وقوله " أنزله بعلمه " فالقرآن من علم اللّٰه ومن زعم أن علم اللّٰه مخلوق فهو كافر ومن زعم أنه لا يدري علم اللّٰه مخلوق أو ليس بمخلوق فهو كافر أشر ممن يقول القرآن مخلوق .

قال الخلال : أخبرنا محمد بن علي أبو بكر ، أن يعقوب بن بختان سأل أبا عبد اللّٰه عمن قال: القرآن مخلوق فقال: كنت أهاب أن أقول كافر فرأيت قول اللّٰه:

{فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ} [آل عمران ٦١]

قال الخلال : وأخبرنا محمد بن داود قال : ثنا حنبل ، قال : سمعت أبا عبد الله وسأله ابن الدورقي فقال : قد كنا نهاب الكلام في هذا ، ثم بان لنا الحكم ، يقول الله في كتابه : { فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ }

الجواب : هذه رواية بهذا اللفظ شاذة كيف لا يكفر مطلقا !! ومشكلة هذا النصوص هو الرواية بالمعنى فظاهر المتن حصل فيها خلل في لفظ تغير بسببه المفهود الظاهر منها ، فقد رواها الآجري في الشريعة (٥٠٧/١) ورواها ابن بطة في الإبانة كتاب: الرد على الجهمية ٢/ ٧١ (٢٩٤) بغير هذه الزيادة المنكرة عن الدورقي نفسه ونص الرواية عنده : قال حنبل : سمعتُ أبا عبد الله أحمد بن حنبل ، وسأله يعقوب الدورقي عمن قال : القرآن مخلوق ؟ فقال : من زعم أن علم الله وأسماءه مخلوقة فقد كفر ، ويقول الله تعالى : {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ} أفليس هو القرآن ؟ فمن زعم أن علم الله وأسماءه وصفاته مخلوقة فهو كافر لا شك في ذلك إذا اعتقد ذلك ، وكان رأيه ومذهبه ، وكان دينا يتدين به ، كان عندنا كافرا)

قلت : فحنبل كان شاهدا لنص سؤال الدورقي وهذا ما حفظه من متن الرواية وهي صريحة . الوجه

الثاني : رواية يعقوب بن بختان الأخرى وليس هو يعقوب الدورقي طبعا توضح أنه هناك علة أخرى في سبب السؤال وعلة الجواب سنوضحها الآن : عبارة (كنا نهاب الكلام في هذا ثم بان لنا الحكم) فالظاهر أنه قصد وجه الدليل في الرد عليهم وهو ما يقصده بالحكم ، والدليل هو الإلزام الذي تفطن له الإمام أحمد في

الرد عليهم وإلجامهم به ، وقد كانوا يعرفون تكفير السلف لهم لكن كثر السؤال عن دليل التكفير وحجة تكفيرهم أي شيء ، وخاصة يريدون نص من القرآن والسنة شاهد على كفرهم ، فكان يتوقف ويفكر في دليل التكفير والحكم عليهم من القرآن يريد أن ينتزع شيئا من ذلك ، ثم تبين له وجه دليل رائع وقوي نبينه هنا :

قال الخلال : وأخبرنا أبو بكر المروذي قال : سمعت أبا عبد الله يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال : القرآن مخلوق ، فهو كافر بالله واليوم الآخر والحجة فيه : {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) ....

وأصرح ما في هذا الباب ما قال الخلال : وأخبرني صالح بن علي النوفلي المرخي من آل ميمون بن مهران ، قال : سألت أحمد بن حنبل عمن قال : القرآن مخلوق فقال: من قال : القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم ، ثم التفت إلي وقال : لعلك تسأل كيف كفر ؟ قلت : لا ، قال : إن القرآن من علم الله ، ومن جعل علم الله مخلوقًا ، فهو كافر بالله العظيم ، ألم تسمع إلى قول الله {عَلَّامُ الْغُيُوبِ} و{عَالِمُ الْغُيُوبِ} وفي غير موضع من القرآن ذكر الغيب) . **قال الخلال** : أخبرنا الحسن بن ثواب المخرمي أنه قال لأبي عبد الله : من أين أكفرتهم ؟ قال : قرأت في كتاب الله غير موضع {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ } فذكر الكلام . ولما سمع أحمد بعض الجهمية يصرح بنفي العلم ، علم أن الدليل والحجة التي فتح الله بها عليه قوية وازداد بها بصيرة ، وصار يرددها كثيرا . **قال الميموني** : سألتُ أبا عبد الله ، قلت : من قال : إن الله تعالى كان ولا علم فتغير وجهه تغيرا شديدا، وكثر غيظه، ثم قال لي: كافر. وقال لي: كل يوم أزداد في القوم

بصيرة . [الإبانة لابن بطة (٢٩١)]

استعظام أحمد من يشك في كفر الجهمية وتكفيره من يشك في كفرهم :

قال العباس العنبري : ما تقول يا أبا عبد اللَّه ؟ فقال: الذي أعتقده وأذهب إليه، ولا أشك فيه أن القرآن غير مخلوق ، ثم قال: سبحان اللَّه ! ومن يشك في هذا ؟ ثم تكلم أبو عبد اللَّه استعظاما للشك في ذلك فقال : سبحان اللَّه ! في هذا شك؟ ! قال اللَّه : { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ } ففرق بين الخلق والأمر ، قال أبو عبد اللَّه : فالقرآن من علم اللَّه ، ألا تراه يقول: {عَلَّمَ الْقُرْآنَ} والقرآن فيه أسماء اللَّه ، أي شيء تقولون؟ ألا تقولون أن أسماء اللَّه عَزَّ وَجَلَّ غير مخلوقة ؟ من زعم أن أسماء اللَّه عَزَّ وَجَلَّ مخلوقة فقد كفر، لم يزل اللَّه قديرًا، عليمًا، عزيزًا، حكيمًا، سميعًا، بصيرًا، لَسْنا نشك أن أسماء اللَّه ليست بمخلوقة، ولسنا نشك أن علم اللَّه تبارك وتعالى ليس بمخلوق وهو كلام اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، ولم يزل اللَّه عَزَّ وَجَلَّ (حكيمًا) . **ثم**

قال أبو عبد اللَّه : وأي كفر أبين من هذا، وأي كفر أكفر من هذا ؟ إذا زعموا أن القرآن مخلوق، فقد زعموا أن أسماء اللَّه مخلوقة وأن علم اللَّه مخلوق، ولكن الناس يتهاونون بهذا، ويقولون: إنما يقولون القرآن مخلوق، فيتهاونون ويظنون أنه هين ولا يدرون ما فيه من الكفر.

قال: فأنا أكره أن أبوح بهذا لكل أحد، وهم يسألوني، فأقول: إني أكره الكلام في هذا، فبلغني أنهم يدعون علي أني أمسك.

قلت لأبي عبد اللَّه : فمن قال: القرآن مخلوق، فقال: لا أقول: أسماء اللَّه مخلوقة ولا علمه. ولم يزد على هذا، أقول: هو كافر ؟ فقال : هكذا هو عندنا .

قال أبو عبد اللَّه : نحن نحتاج أن نشك في هذا ؟! القرآن عندنا فيه أسماء اللَّه وهو

من علم الله ، من قال : مخلوق ، فهو عندنا كافر .

ثم قال أبو عبد الله : بلغني أن أبا خالد وموسى بن منصور وغيرهم يجلسون في ذلك الجانب، فيعيبون قولنا، ويدعون إلى هذا القول ألا يقال: مخلوق ولا غير مخلوق، ويعيبون من يكفر، ويزعمون أنا نقول بقول الخوارج. ثم تبسم أبو عبد الله كالمغتاظ، ثم قال: هؤلاء قوم سوء .

وقال قال شاهين بن السميدع : سمعت أبا عبد الله يقول: من قال: القرآن مخلوق. فهو كافر ، ومن شك في كفره فهو كافر .

قال إسماعيل : سألت أحمد قلت: من يقول: لفظي بالقرآن مخلوق؟ قال : هو جهمي ، زاد أحمد بن الحسين: لا يشك فيه .

وقد قال أحمد فيما روى جعفر بن محمد : (والجهمية يكفرون) .

قال المروذي : حدثنا الميموني قال : سألته فيما بيني وبينه ، واستفهمته واستثبته قلت: يا أبا عبد الله: قد بلينا بهؤلاء الجهمية، ما تقول فيمن قال: إن الله ليس على العرش ؟ قال : كلامهم كلهم يدور على الكفر ، قلت من قال : إن أسماء الله محدثة ؟ قال : كافر ، ثم قال لي : الله من أسمائه ، فمن قال : إنها محدثة فقد زعم أن الله مخلوق ، وأقبل يعظم أمرهم ، ويكفر ، وقرأ: {اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ} [العلل برواية المروذي وغيره (٣٤٩)]

قال المروذي قلت : ما تقول فيمن قال : إن الله لم يكلم موسى ؟ قال : كافر لا يشك فيه .

(قلت) ولهذا كان العلماء من شيوخ أحمد وشيوخهم بمجرد أن يحكى لهم مقالة خلق القرآن فيسمعونها لأول مرة يكفرون قائلها مباشرة دون تردد ، بل من شدة

وضوح كفرهم حتى المرجئة تقول بتكفير الجهمية في قولهم القرآن مخلوق . من الامور التي تبين نكارة الرواية هو انتشار روايات العلماء قبل أحمد بتكفير الجهمية وأحمد وهو يعرفها بل هو أكثر من رواها ونشرها ، كيف لا وقد رواها عنه ابنه في كتاب السنة وبوب لها في أول الكتاب فبوب له بقوله [سُئِلَ عَمَّا قَالَتْهُ الْعُلَمَاءُ فِي الْجَهْمِيَّةِ الضُّلَّالِ وَإِكْفَارِهِمْ وَالصَّلَاةِ خَلْفَهُمْ]. - ثم إن نواقض الجهمية كثيرة ليست منحصرة في القول بخلق القرآن وكلامهم كله تعطيل ، فلا يصلح هذا أن يشك فيهم إمام كالإمام أحمد وقد قال المروذي : حدثنا الميموني قال : سألته فيما بيني وبينه ، واستفهمته واستثبته ، قلت : يا أبا عبد الله : قد بلينا بهؤلاء الجهمية، ما تقول فيمن قال: إن الله ليس على العرش؟ قال : كلامهم كلهم يدور على الكفر ، قلت : ما تقول فيمن قال : إن الله لم يكلم موسى؟ قال: كافر لا يشك فيه .

شبهة أخرى :

قالَ البخاريّ في خلق أفعال العباد (ص٣٣) : نَظَرْتُ فِي كَلَامِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ فَمَا رَأَيْتُ أَضَلَّ فِي كُفْرِهِمْ مِنْهُمْ وَإِنِّي أَسْتَجْهِلُ مَنْ لَا يُكَفِّرُهُمْ إِلَّا مَنْ لَايَعْرِفُ كُفْرَهُمْ) اهـ

واجواب :ليس في هذا حجة لكم بل ظاهره عليكم ، فهو يعتبر أن تكفير الجهمية من الأمور الواضحة جدا ، لا يجهله أحد ، وتجهيل البخاري لعاذر الجهمية لا يستلزم نفي الكفر عنه ، وقد سبق تكفير السلف لعاذر الجهمية ، ثم إن البخاري أصلا عنده مشاكل كبيرة في هذه الأبواب لا يحتج به في مثل هذه القضايا على فرض أن في كلامه حجة لكم .

تنبيه : وقع في بعض كتب بن تيمية نسبة كلام البخاري هذا أيضا لأبي عبيد القاسم بن سلام !! وهو تحريف على الأرجح ، فهذه عبارة ثبتت عن البخاري فقط في كتابه خلق الأفعال ولم ترد في أي كتاب مسند نسبتها لأبي عبيد .

شبهة كلام أبي الشيخ الأصبهاني :

قال أبو الشيخ : من شكّ فِي كفر من قَالَ الْقُرْآن مَخْلُوق بعد علمه وَبعد أَن سمع من الْعلمَاء المرضيين ذَلِك فَهُوَ مثله) اهـ . [الحجة في بيان المحجة (٢٤٠/١)]

الجواب : هذا التفصيل من أبي الشيخ غير صحيح مخالف للإجماع ، وليس هو التفصيل القديم الذي نص عليه الرازيان ، فالقيد في العذر يشمل العامي الذي لا يفهم فقط ، لا لكل أحد كما يطلق أبو الشيخ ، ثم إن أبا الشيخ لا يعرف بالإمامة في السنة حتى يجعل كلامه محل الأصل والحجة ، بل لديه مخالفات في السنة كموقفه من حديث الصورة مثلا ، فاعرف الناس وأنزل كل أحد منزله ، ولا ترفع عقيرة من لم يرفعه السلف .

شبهة من كلام أبي عبيد القاسم بن سلام :

قال علي بن المديني -أو غيره-: يا أبا عبيد ما تقول في من قال : القرآن مخلوق ؟ فقال أبو عبيد : هذا رجل يعلم ، ويقال له : إن هذا كفر ، فإن رجع وإلا ضربت عنقه . [رواه اللالكائي (٥٠٩)] .

فالجواب : أن هذا لا يصح سندا ولا متنا فسنده إلى أبي عبيد تفرد به عنه اللالكائي وفيه ضعف شديد ، وإليك حاله :

قال اللالكائي : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخَطِيبُ الْأَنْبَارِيُّ قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْقَرَنْجُلِيُّ قَالَ: نا أَحْمَدُ بْنُ أَصْرَمَ بْنِ خُزَيْمَةَ الْمُغَفَّلِيُّ : قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ

السِّمْسَارُ : ... ثم ساقه .

قلت في هذا السند علل :

١/ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخَطِيبُ الْأَنْبَارِيُّ لم يترجح لي من هو فهناك بهذا الإسم اثنان كلاهما شيعة وثالث مجهول .

٢/ وعبد الملك السمسار راوي هذه القصة هذا لم أجد له ترجمة !!

أما المتن النكارة يه واضحة ، أبو عبيد هنا ليس فقط يعذر عاذر الجهمية بل يعذر الجهمي نفسه ، وهذا شيء مستبعد مكذوب عليه حتما ، وإلا فهو مناقض لإجماع السلف ، ومما يؤكد ضعفه أنه مخالف للمشهور عن أبي عبيد .

فقد قال أبو عبيد : من قال : القرآن مخلوق فليس شيئ من الكفر إلا هو دونه فقد قال هذا على الله ما لم يقله اليهود ولا النصارى وإنما مذهبهم التعطيل .

(**قلت**) تأمل كيف جعل هذه العبارة أشد أنواع الكفر مطلقا . والأغرب من هذا أن في نفس الأثر المروي عند اللالكائي تتمة وهي :

قَالَ الْمُغَفَّلِيُّ : فَقَالَ حُسَيْنُ بْنُ حَيَّانَ : سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدٍ الْقَاسِمَ بْنَ سَلَّامٍ يَقُولُ : مَنْ قَالَ إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ شَرٌّ مِمَّنْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ جَلَّ اللَّهُ وَتَعَالَى ، إِنَّ أُولَئِكَ يُثْبِتُونَ ، وَهَؤُلَاءِ لَا يُثْبِتُونَ الْمَعْنَى .

(**قلت**) فهل هذا الكلام يستقيم مع عدم تكفير من قال بخلق القرآن حتى تقام عليه الحجة ويعلم !! .

ثم إن مذهب أبي عبيد القاسم في تكفير ومعاملة الجهمية أشد من مذهب أحمد .

قال عبد الله في السنة (ص٢٠) حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقى سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول: لو أن خمسين يؤمون الناس يوم الجمعة لا يقولون القرآن

مخلوق ، يأمر بعضهم بعضا بالإمامة إلا أن الرأس الذي يأمرهم ، يقول هذا رأيت الإعادة ، لأن الجمعة إنما تثبت بالرأس فأخبرت أبي بقول أبي عبيد فقال : هذا يضيق على الناس إذا كان الذي يصلي بنا لا يقول بشيء من هذا ، صليت خلفه فإذا كان الذي يصلي بنا يقول بشيء من هذا القول أعدت الصلاة خلفه) .

وهناك جواب آخر عن هذه القصة : وهو على فرض احتمال صحتها أنه لا حجة في متنها لأنه يقصد بها الإستتابة فقط ، تأمل هذه العبارة (هذا رجل يعلم ويقال له : إن هذا كفر ، فإن رجع وإلا ضربت عنقه) فمعنى قوله (يُعلم) أي نخبره أنه كفر وارتد وعليه أن يتوب وإلا قتل .

شبهة كلام ابن أبي عاصم في السنة :

قال في آخر كتابه السنة في ورقة مشبوهة لا أدري هل هي من أصل الكتاب أم ورقة وجدت مفردة ثم أضيفت إلى آخر الكتاب ؟؟ فالكتاب المطبوع بتحقيق ذاك الجهمي الألباني نسخة سيئة للغاية كثيرة السقط والتحريف ولم يتمها ولم يقابلها على مخطوط ولا راجعها ، ولهذا لست أثق بهذا النقل بتاتا وهو التالي :

قال : (والقرآن كلام الله تبارك وتعالى تكلم الله به ليس بمخلوق ومن قال مخلوق ممن قامت عليه الحجة فكافر بالله العظيم ، ومن قال من قبل أن تقوم عليه الحجة فلاشيء عليه (!!) ...) اهـ

الجواب : هذا الكلام بهذا التفصيل باطل مخالف لإجماع الأمة ، إن ثبت عنه !! فهو مخالف للإجماع في كفر من قال القرآن مخلوق مباشرة بدون هذا التفصيل المحدث الذي جاء به ابن أبي عاصم !!

من هو ابن أبي عاصم أولا وهل كلامه حجة أصلا :

هل ابن أبي عاصم إمام في السنة كما يروج هؤلاء ممن يحتجون به وينقضون به إجماعات سابقة ؟ سوف نراجع ترجمته وأنقل لكم بعض مخالفاته

١/ أولا هو ظاهري المذهب ، ينتسب لداود الظاهري وقد ألف كتابا في فقه الظاهر وأخرج الأحاديث التي يرويها داود ، وتخرج على يده بعض التلاميذ على مذهب الظاهرية منهم أَحْمد بن بنْدَار بن إِسْحَاق أَبُو عبد الله الشعار.

فهل الظاهري يعتد بخلافه ؟ فضلا أن يقال ويُعَدُّ إماما في السنة يحتج به !!

قَالَ أَبُو العَبَّاسِ النَّسَوِي : وَكَانَ مَذْهَبه القول بالظاهر .

وَقَالَ أَبُو نُعَيْمٍ : كَانَ فَقِيْهاً ظَاهِرِي المذهب.

قَالَ أَبُو سَعِيْدٍ بنُ الأَعْرَابِيّ : وَكَانَ مذْهبه القَوْلُ بِالظَّاهِر، وَنفِي القِيَاس .

٢/ ذكروا أيضا أنه على طريقة المتصوفة في الزهد وكان يحفظ مسائلهم ويجالسهم وكان يصحب أَبا تُرَابٍ الصُّوفِيّ ويحفظ لشقيق البلخي الصوفي ألف مسألة !! .

ومن عجائب كلامه في التصوف ما ذكره التيمي عنه في كتابه (سير السلف الصالحين) أنه قال : قَدْ رَأَيْتُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ إِذَا هَمَّ أَحَدُهُمْ بِأَمْرٍ قَصَدَ إِلَى قَبْرِهِ [أي قبر طلحة رضي الله عنه] فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَدَعَا بِحَضْرَتِهِ فَيَكَادُ يَعْرِفُ الْإِجَابَةَ وَكَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَفْعَلُهُ (!!) اهـ

(قلت) هل هذا كلام يصدر من عاقل يعرف السنة !!

٣/ لا تجد في كتب التراجم والسنة ثناء عليه بخصوص السنة والمعتقد ، إنما تجد أحيانا ذكر حفظه وهل هو صدوق في الأداء أم لا ، أما السنية فلا أحد من علماء أهل السنة المتقدمين من المعاصرين له أثنى عليه فيها ، فيما بين أيدينا من المصادر وهذا مما يرجح ذلك أن مذهبه الظاهري وتصوفه جعله محل ابتعاد أهل السنة عن

الثناء عليه .

جواب شبهة من فرّق بين الجهمي والمشرك في الحجة :

يقال بكل بساطة : إذا كان الجهمي أشد كفرا من اليهود والنصارى بإجماع كما أن المرتد أشد كفرا من الكتابي ، فكفر عاذره أيضا سيكون أشد من حيث النظر وهذه العلة وحدها كافية للرد على صاحب هذه الشبهة ، ولا مزيد عليها .

نكتة : من عجائب أبي حنيفة أنه نسب له تكفير العاذر ؟؟

جاء في الكتاب المنسوب إليه والذي اسمه (الفقه الأكبر) أنه قال : من آمن بِجَمِيع مَا يُؤمن بِهِ الا انه قَالَ لَا أعرف مُوسَى وَعِيسَى أمرسلان هما أم غير مرسلين فَهُوَ كَافِر وَمن قَالَ لَا أَدْرِي الْكَافِر أهو فِي الْجنَّة أوْ فِي النَّار فَهُوَ كَافِر لقَوْله تَعَالَى : { وَالَّذين كفرُوا لَهُم نَار جَهَنَّم لَا يقْضى عَلَيْهِم فيموتوا } وَقَالَ {وَلَهُم عَذَاب الْحَرِيق} وَقَالَ الله تَعَالَى {وَلَهُم عَذَاب شَدِيد}

(قلت) إذن يا أيها الفوزان أنت عند أبي حنيفة كافر لأنك لا تعرف البابا النصراني أين هو في الجنة أم في النار !! والعجب أن هذا الأحمق الفوزان يقول : أبو حنيفة أمامنا وليغضب من يغضب !! يا غبي ألا تفهم ؟ هو يكفرك !! كما يُكفرك أيضا ابن حجر بإثباتك العلو ، وأنت ما زلتَ تقول هو إمامنا ومن يتكلم فيه مهبول !! ما هذا الحمق !!

شبهة قالوا نتوقف في تكفير من شك أو توقف في تكفير عباد الأوثان والقبور، لأن عندهم شبهة ؟

الجواب : كل من كفر على وجه الأرض عنده شبه ، أفيقال بعذرهم جميعا على حد قولكم ؟؟ ثم إن من لم يحكم بكفر المشركين فقد حكم بإسلامهم فليس هناك

سوى الكفر أو الإسلام ، وهذا كفر بواح .

شبهة : قالوا عباد القبور ينتسبون للإسلام لهذا قد يشتبه أمرهم على العاذر ليس ككفر اليهود والنصارى .

الجواب : بل كفر عباد الأوثان والأضرحة أغلظ كفرا من كفر اليهود والنصارى كما أن المرتد أشد كفرا من الكتابي ،بل حتى اليهود والنصارى تعلم كفر عباد الأوثان والقبور كما أقر بهذا شيخ العاذرية (ابن تيمية) والسلف كفروا عاذر الجهمية ، والقبوري أشد وضوحا في كفره أو هو مثله على الأقل ، والنبي صلى الله عليه وسلم بعث في قوم مشركين من عباد الأوثان والأضرحة وحاربهم قبل محاربة أهل الكتاب ، مع أنهم ينتسبون إلى ملة إسماعيل وإبراهيم ، فهل أفادهم هذا الإنتساب شيئا أو عذرا !! فحتى أهل الكتاب انتسبوا لملة إبراهيم عليه السلام ، وانتسبت النصرانية لدين المسيح ، فكان ماذا !! **ولهذا قال القاضي عياض المالكي** : ولهذا نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل أو وقف فيهم أو شك أو صحح مذهبهم وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب سواه فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك) اهـ . [الشفا (٢/٦١٠)]

شبهة : قالوا الملة اندرست وكثر الجهل ولهذا نتوقف في تكفير هذا النوع حتى نبين له المحجة !!

الجواب : لقد اندرست الملة في زمن الجاهلية أيضا أسوء من الزمن هذا بمراحل ؟ فهل كان ذلك عذرا لأهل الجاهلية ؟ وسيندرس العلم في آخر الزمان ويرفع بالكلية حتى يعود الناس إلى عبادة الأوثان ، ومع ذلك جاءت النصوص لتبين أن أهل

ذلك الزمان هم شرار الخلق وأنهم مشركون كفار ، فهل يقال إن اندراس العلم بعد ذلك أو أن رفعه في آخر الزمان سيكون عذرا لهم ؟ هيهات هذا لأن الشرك قامت عليه الحجة في العقول والفطر وبالعهد والميثاق فلا عذر لمشرك وعاذره إلى الأبد .

علل وأسباب كفر العاذر للمشركين متعددة :

من الغرائب أن بعض المخالفين ومنهم (القتاليين) يقتلون من كفر العاذر مباشرة كأنه مرتد !! وحاولون أن يجدوا حيلة لعذر العاذر بقولهم أن علة كفر العاذر هي التكذيب فقط !! وبهذا يجب أن يقال أن التبيين وإقامة الحجة عليه واجبة !!

بحجة أن العلة لابد أن تكون واحدة فقط فلابد أن تكون التكذيب وبهذا تخلصوا من هذه المسألة بهذه الطريقة الأصولية الكلامية !!

والحقيقة أن هذه المسألة ليست من قبيل العلل والأسباب معا أي أن الأقرب أن تقول ما هي أسباب كفر العاذر : فنجيبك هي واحد واثنان وثلاث وهكذا . **ثم من قال لكم أن العلة يجب أن تكون واحدة عند الأصولين !!**فالكثير من الأصوليين الذين تعتمدون عليهم في تقرير الكلاميات التي أضلتكم على أنه يجوز تعليل الحكم الواحد بأكثر من علة واحدة ، **قال ذاك الآمدي في الإحكام** :

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ اتَّفَقُوا عَلَى جَوَازِ تَعْلِيلِ الْحُكْمِ بِعِلَلٍ فِي كُلِّ صُورَةٍ بِعِلَّةٍ وَاخْتَلَفُوا فِي جَوَازِ تَعْلِيلِ الْحُكْمِ الْوَاحِدِ فِي صُورَةٍ وَاحِدَةٍ بِعِلَّتَيْنِ مَعًا) اهـ

وقرر ابن قدامة في الروضة : أنه يجوز تَعْلِيلُ الْحُكْمِ بِعِلَّتَيْنِ .

(قلت) وسأعطيكم أمثلة، لحكم واحد له علتان:

١ ـ وجوب الوضوء على من بال ولامس وهنا علتين .

٢ ـ تَحْرِيمِ الرَّضِيعَةِ عَلَى الشَّخْصِ الْوَاحِدِ ، لِكَوْنِهِ عَمَّهَا وَخَالَهَا .

٣ ـ تَعْلِيلُ تَحْرِيمِ وَطْءِ الْمَرْأَةِ بِالصَّوْمِ وَالْإِحْرَامِ وَالِاعْتِدَادِ مِنْ غَيْرِهِ.

٤ ـ تَحْرِيمِ وَطْءِ الْمَرْأَةِ بِالْعِدَّةِ وَالرِّدَّةِ .

٥ ـ تَعْلِيلُ وُجُوبِ الْقَتْلِ بِالرِّدَّةِ وَالْمُحَارَبَةِ .

٦ ـ تَحْرِيمُ الِاسْتِجْمَارِ بِالرَّوْثِ النَّجِسِ لِنَجَاسَتِهِ ،وَكَوْنِهِ طَعَامَ إِخْوَانِنَا مِنَ الْجِنِّ.

والأمثلة كثيرة لا تحصر ، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ كُلُّهُ جَائِزٌ لَا مَانِعَ مِنْهُ عَقْلًا وَلَا شَرْعًا ، وَقَدْ وَقَعَ شَرْعًا ، فَلَا وَجْهَ لِمَنْعِهِ ، وعلى هذا نقول أن علل كفر العاذر أمور :

النظر الصحيح والقياس الأولوي :

والمقصود أن من لم يكفر المشركين الوثنين كالقبورين أو الجهمية ونحوهم فهو مثل من لم يكفر أهل الكتاب أو المجوس أو غيرهم من ملل الكفر ، بل أسوء منه وهذه علة بينها أبو بكر بن عياش والطبراني . **وسبق**

قول أبي بكر بن عياش :من قال القرآن مخلوق كافر ، وكل من لم يقل : إنه كافر فهو كافر ، ثم قال : **أيُشك في اليهودي والنصراني أنهما كافران** ؟ فمن شك في هؤلاء أنهم كفار فهو كافر ." **وسبق قول**

الطبراني : ...من قال : إنه مخلوق ، فهو شر من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان .... ومن زعم أن من يقول : (إن القرآن مخلوق) يخرج من النار فهو كافر كمن زعم أن اليهود والنصارى يخرجون من النار) اهـ

(**قلت**) فالجهمي مثل اليهودي والنصراني في الكفر وأسوء منه وشر فمن شك في كفره والحال هذه فهو كافر كما قال أبو بكر بن عياش . **ومن**

أسباب كفر العاذر لهؤلاء أن كفرهم ظاهر بـيِّن :

كفر الملل الخمس بكل أصنافها ظاهر بيّنٌ في الوحي وحتى في الفطرة والعقل ولهذا لا عذر لمن اعتذر لهم أو ادعى الجهل بكفرهم . **قال حرب:** سمعت أحمد بن حنبل وذكر عنده كلام الناس في القرآن أنه مخلوق فقال : كفرٌ ظاهر ،مرتين .

(قلت) إذن كفر أهل الأوثان كعباد القبور والأضرحة أوضح وأبين .

وروى المروزي برقم (٥٨٠) نقل إسماعيل بن سعيد الشالنجي عن أحمد –وذكر له قول ابن عباس المتقدم وسأله : ما هذا الكفر ؟ قال أحمد : هو كفر لا ينقل عن الملة ، مثل الإيمان بعضه دون بعض ، فكذلك الكفر حتى يجيء من ذلك أمر لا يختلف فيه . [ونقله في فتح الباري لابن رجب (١/١٣٩)]

(قلت) مثل أن يُشرّعُ فيحكم بالديموقراطية العلمانية التي تشتمل على الزندقة بكل أنواعها ، فهذا الحاكم الذي لا شك في كفره ، بل وكفر من لم يكفره .

قال أبو داود: سمعتُ أحمد ذكر له رجل أن رجلا قال: إن أسماء اللَّه مخلوقة والقرآن مخلوق ؟ فقال أحمد : **كفر بيّن** . [مسائل أبي داود (١٦٩٦)] **قال حرب:** سمعتُ إسحاق يقول : .. وذكر الجهمية : لزمهم أن يقولوا : كان اللَّه تبارك اسمه ولا علم ولا قدرة ولا مشيئة ،وهو الكفر المحض الواضح . **(قلت)**

وهذا الكلامُ قدْ قالهُ الأئمّةُ في منْ توقفَ في تكفيرِ مَنْ يقولُ بخلقِ القرآنِ وكفرُ المشركِ العابدِ للطاغوتِ أظهرُ وأوضحُ وأبين كفرا .

وَهوَ – أي المشرك في الإلهية– في حكمِ مَنْ يقولُ بخلقِ القرآنِ ،كما قال هارون بن معروف وإبراهيم بن سعد : [من قال القرآن مخلوق فهو يعبد صنماً] .

وبوب عبد الله بن أحمد في كتاب السنة بقوله [من زعم أن الله عزوجل لا يتكلم

فهو يعبد الأصنام] ومما أورده تحت الباب :

قول سعيد بن عامر الضبعي لما ذكر عنده الجهمية : [هم شَرٌّ قولاً من اليهود والنصارى ، اجتمع أهل الأديان مع المسلمين أن الله على العرش ، وقالوا هم: ليس على العرش شيء].

وقَالَ مُحَمَّد بْن مُصْعَبٍ الْعَابِدُ : « مَنْ زَعَمَ أَنَّكَ لَا تَتَكَلَّمُ وَلَا تَرَى فِي الْآخِرَةِ فَهُوَ كَافِرٌ بِوَجْهِكَ لَا يَعْرِفُكَ ، أَشْهَدُ أَنَّكَ فَوْقَ الْعَرْشِ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ لَيْسَ كَمَا يَقُولُ أَعْدَاءُ اللَّهِ الزَّنَادِقَةُ »

وفي الحقيقة لا أعرف أحدا من السلف له تفصيل في من توقف أو شك في كفر المشركين من اليهود والنصارى أوعباد الأوثان والأضرحة والقبور ، وإنما يفصلون فيمن يسمع كلام كفريا ولا يفهم معناه فيتوقف في تكفيره كمن يتوقف في تكفير القائلين بالقرآن مخلوق من عوام الناس ممن لا يفهم ولا يحسن الكلام ولا يدري لوازم هذه العبارة الكافرة ، فقولون هذا يضلل ويُعَلَّم ويبين له ، فإن كفَّرهم وإلا كفر بعد ذلك ، أما في أن يفصلوا فيمن توقف في تكفير عباد الأوثان والأضرحة أو اليهود والنصاري فليس عندهم تفصيل في هذا ، لأن هذا شيئ واضح ونتحدى من يأتينا بكلام للسلف فصلوا في عاذر المشركين ، غير قضية خلق القرآن .

شبهة : قالوا بعض العاذرين يكفر النوع ليس حاله كمن لا يكفر الأعيان !؟

والجواب :هذا تفريق محدث لا أصل له في كلام السلف في كفر المشركين ، ثم إنه لا فرق بين من كفر النوع ولم يعين وبين من لم يكفر النوع أصلا لأن من لم يكفر الكافر بعينه فهذا في الحقيقة ما عمم بل عاد على تعميمه بالنقض ، فإنك مثلا لو

قال أحدهم : أن المشركين من عباد القبور كلهم كفار من حيث العموم ، ثم إذا سألته عنهم واحدا تلو الآخر قال :(لا أكفره) !! فهذا قد عاد وحكم لكل واحد منهم بالإسلام فردا فردا ، ونقض كلامه الأول فكأن لم يقل شيئا ، فهذا التفريق بين النوع والعين في مسائل التكفير بشكله الحاضر ، لم يعرفه أحد من السلف بل هو من الجهميات التي تفرد بها بن تيمية ، وخلط بها على المتأخرين حتي صاروا في أمر مريج في مسائل التكفير والله المستعان .

كتبه أبو عبيد الجزائري عفا الله عنه وأعاد تنقيحه يوم : ١٦/١/١٤٤٤ محرم .

الموافق ل ٨/١/ ٢٠٢٢ م وبالله التوفيق .

إِعْلَامُ المُوَحِّدِينَ

بِكُفْرِ عَاذِرِ المُشْرِكِينَ

كتبه أبو عبيد الجزائري عفا الله عنه